بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قولوا جميعاً: اللهم إنا نسألك سبحانه علماً نافعاً وقلباً خاشعاً، ولساناً ضارعاً وعملاً رافعاً، ونعوذ بك اللهم من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن لسان لا يضرع، ومن دعاء لا يُسمع يا رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاط منهج الحضارة والأفولة لأولاد المسلمين، ما هذه الخطة؟ هي خطة رمزية ونحن نقرع فيها بعد ذلك، قال فيها صلى الله عليه وسلم - لمن في عره ولمن بعده إلى عرنا هذا إلى يوم القيامة: (أدبوا أولادكم على حب ثلاث - الناس طبعاً نسيت هذا الكلام، أدخله المدرسة وليس لي شأن به بعد ذلك، ماذا تريد يا بني؟ درس إنجليزي.. أبعثه للدرس الإنجليزي، وماذا تريد يا بني؟ أريد درس رياضة.. أبعثه لدرس رياضة،.. والأدب والأخلاق!!، المفروض يتعلمهما من أبيه وأمه!!، وأصبح يتكئون كما تتكئون شلة الرفاق، من يمشي معهم يكون مثلهم، لكن النبي قال: لا، (أدبوا أولادكم) - منذ صغرهم:

(أدبوا أولادكم على حب ثلاث: حُبِّي: (...). أولاً: (حُبِّ النَّبِيِّ)، فاجعل الولد يتعلق بحضرة النبي، كيف؟ تحكي له عن جمال أخلاق النبي، وعن كريم أحوال النبي، وعن الصفات العظيمة القرآنية التي كان عليها النبي، من أى مكان يسمعونها حالياً؟ لا يوجد، ونحن أغلقنا هذه الأبواب نهائياً.

أولاً: حُبِّي .. وثانياً: حُبُّ الْقُرْآن: (حُبُّ الْقُرْآن) ولم يقل حفظ القرآن، فنحن نرسلهم ليحفظوا القرآن، ولكنهم يكونون متضررين، ومغربين وكارهين ولو استماع الهروب للهروب، لا، أنا أريده يحب القرآن، وهو الذي يبحث بعد ذلك على حفظ القرآن، لأنه سيحفظ القرآن ثم يعمل بالقرآن بعد ذلك.

ثالثاً: (وحب آل بيتي): وحب آل بيتي، وآل بيت النبي هم أصحاب المنهج الواسع البعيد عن الانحراف والمنحرفين، يمكن أنتم تذكرون كان هنا في بلادنا: آباؤنا كانوا أميين، وكانوا يربون أولادهم على هذه الأشياء، وكان المنهج الواسع هو المنهج المسير على الأمة، وهل كان هناك مشاكل أو خلافات؟ لا، لأن منهج آل البيت الأدب والعبادة، حتى من يريد أن يُغَيَّر يتعلم من آل البيت.

الحسن والحسين كانوا صغاراً، ورأوا رجلاً لا يعرف كيف يتوضأ، فلم يفعلوا كما نسمع الآن!!، فلم يقولوا له: كيف تكون كبيراً في السن هكذا ولا تعرف كيفية الوضوء!! ألا يحدث حالياً!!، وهل هذا منهج إسلامي؟ لا، بل منهج ظلماني.. قسوة وشدة وغلظة، وليست في الإسلام، لكنهم صنعوا تمثيلية مع بعضهما، فقالوا للرجل: أخي يقول لي: أنا أتوضأ أفضل منك، وأنا أقول له: أنا أتوضأ أفضل منك، فاحكم بيننا، فسوف أتوضأ أمامك وهو يتوضأ أمامك وتنتظر من الأحسن فينا - انظر إلى الحكمة والذكاء التي كان عليها آل بيت النبوة - فتوضأ الحسن وتوضأ الحسين، فقال الرجل: أنا الذي أخوات في الوضوء وليس أنتما، فعرف أنه لم يعرف كيفية الوضوء.

¹ رواه ابن النجار عن عليّ رضي الله عنه: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفياؤه).

هذه الريقة لو اتبعناها الآن وإخواننا يتبعونها الآن، فهل تحدث مشاكل أو خلافات؟ فهذه الريقة التي يقول فيها الله لحضرة النبي: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (١٢٥ النحل). والريقة الأخرى التي انتشرت الآن!! يقول له: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتُلْنَاكَ) (١٩٥ آل عمران).

فمنهج آل البيت منهج الحكمة والوسية الإسلامية التي تجعل الأمة كلها مجموعة على منهج الله، وعلى كتاب الله، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا منهج مختار، جعله حضرة النبي لنا، ونحن نُفَرِّعُ فيه كما نشاء، لكن هذا المنهج منهج تربية الأطفال، أما الكبار: فهي نفس الريقة نحتاج إلى الحب، ومع الحب نحتاج أن تكون ال دور والقلوب سليمة. فمشاكل المجتمع كلها سببها الأشياء الموجودة في القلوب، فهذا يحسد فلان، وهذا يحقد على فلان، وهذا لن يستريح إلا كان الشيء الذي أعماه ربنا لفلان يضيع منه أو يزول عنه، وهل هذا الحال حال المسلمين!!، هذا حال الكافرين والعياذ بالله.

ومن أين يأتي الحقد والحسد وهذه الأشياء التي في ال دور؟، بأننا اتجهنا للدنيا ونسينا الله ونسينا الآخرة، فأصبحنا ننظر لما في أيدي إخواننا، ونسينا من الذي أعماه جميعاً؟ الله، فلم أعترض على أحد لأن ربنا أعماه أولاداً، فاعتراضي هذا على من أعماه. وعندما أعترض على أحد لأن ربنا بارك له في المال فاعتراضي على الله. وعندما أعترض على أحد لأن ربنا يسر له أمره، فاعتراضي على الله وأنا غير منتبه، والله عز وجل حكّم عدل، ليف خبير، يعي لكل إنسان ما يلائم قدراته، وما يوافق عاداته، عندما يقول للشيء: كن فيكون.

ولو نظرنا - بقليل من الحكمة - لوجدنا أن كل الناس متعادلون ومتساويون، لأنه لا يعي واحداً كل شيء، فيعيبه شيئاً ويأخذ شيئاً آخر. فلو رضينا بما أعماه الله كلنا، فنكون كما قال نبينا: (ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)^٢. وليس أغنى الناس يعني عنده رصيد في البنك، أو من عنده أبراج، ولكن أغنى الناس هو من عنده يقين في الله، ورضا عن الله جل في علاه، ولو أتانا الرضا فكلنا لن نحقد على بعض، ولن نحسد بعض.

والحقد والحسد والغل والكراهة سبب عدم قبول كل العبادات، ولو كان الإنسان قائماً بالعبادات لله لياً نهاراً. وأنتم تعلمون الرجل الذي رآه سيدنا رسول الله دخل عليهم، فقال لأصحابه: (يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة - وبعد أن جلس الرجل ثم خرج - فقال: قام عنكم الآن رجل من أهل الجنة).

حدده، وكم مرة تحدث هذه الحكاية؟ ثلاث مرات، وهذا الرجل كان اسمه: (عبد الله بن سلام) ﷺ وأرضاه، سيدنا عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو كانا عبداً يُجيبان الليل كله في العبادة، والنهار دائماً صائمين، فقالا نريد أن نعرف ماذا يفعل هذا الرجل زيادة عنا حتى يُبر من أهل الجنة.

ذهبوا ليزوروه، وبعد صلاة العشاء وجدوا الرجل وقد نام، لا قام لي لمي توع ولم يلمي قياماً، وفي ال باح جاءهم بالإفطار وقال: افروا معي، فقالوا: ربما يكون اليوم مُتعباً، وفعل ذلك في اليوم الثاني وفي اليوم الثالث،

^٢ أخرجه أحمد والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان والخرازي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ يَأْخُذْ مِنْ أَمْتِي حَمْسَ خِطَمٍ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟ قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهِنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَأَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحْكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِثُّ الْقَلْبَ).

فقالا له: لم نَرِ عليك شيئاً زائداً عن الفرائض، والنبي قال فيك: كذا، قال: لا أزيد عما رأيتهما، فدهشوا فقالا: وما السر إذن؟!، فسكت الرجل وألهمه الله بالسِّرِّ، فقال لهما: (غير أني أبيت - في كل ليلة - وليس في قلبي غلٌّ ولا غشٌّ لأحدٍ من المسلمين)^٣.

(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (٨٩ الشعراء). مجتمع المسلمين مجتمع ا بة، لا فيه غلٌّ ولا حقدٌ ولا كُربةٌ، لأن الكل يعرف أن الفَعَال لما يريد هو: الله.

وكان حضرة النبي يعلم الأطفال ال غار - فسيدنا عبد الله بن عباس كان طفلاً صغيراً، فقال له: (يا غلام - تعالى أعلمك، لأن هذا أيضاً منهج والمفروض أن نعلمه لأولادنا - ألا أعلمك كلمات^٤ - والكلمة الواحدة منها لو الولد مشى عليها يسعد في دنياه وينال ال ملاح والفلاح في أخراه.

قال: (احفظ الله يحفظك)، ونحن محتاجون أن نربي أولادنا على ذلك، لأنك يا بني تحتاج أن يحفظك ربنا من الآفات ومن العاهات ومن الرسوب ومن كل المشاكل، احفظ ما أمرك به الله، ونقده في التوقيت الذي وقته الله تجد حفظ الله: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (٦٤ يوسف). هذا منهج: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك): عندما تقول: يا رب، يقول لك: لبيك عبدي. قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)^٥. ما دمت أنت مع الله في الرخاء بال ماعة والدوام على الذكر والعبادة والتقرب إلى الله، فعندما تقول: يا رب، يلبيك الله عزَّ وجلَّ.

(وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) - هذا المنهج العظيم من سيدنا رسول الله ل فل صغير - واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا شيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأَقْلَامُ وَجُفَّت ال حُفَفُ - بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

بالله عليكم يا إخواني هذا المنهج ألا نحتاج أن ندرسه لأولادنا؟ وربما الحديث يكون موجوداً في كتاب الدين

^٣ روى الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس بن مالك ؓ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: (يَمْلَأُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)، ف لمع رجل من الأ نر ترف حليته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك، قال نفس الكلمات: ي لمع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ف لمع ذلك الرجل مثل المرة الأولى نفس الرجل الأ نر ي، وطلع بنفس الهيبة، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً: (ي لمع عليكم الآن رجل من أهل الجنة)، ف لمع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى. فلما قام النبي ﷺ تبع الرجل عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال له: (إني لاحيت أبي - يعني خاصمت أبي - فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تتوبني إليك، حتى تمضي فقلت).. قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث أنه لم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار استيقظ من نومه وتقلب في فراشه ذكر الله عزَّ وجلَّ، ويذكر الله، ويكبر حتى يقوم ل ملة الفجر، غير أني لم أسمع يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله، فقلت: (يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب، ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ، يقول لك ثلاث مرات (يَمْلَأُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) ف لمعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك؛ لأنظر ما عملك، فأقدي بك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت. يقول عبد الله بن عمرو العاص: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعاه الله إياه. قال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نيق.

^٤ رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: (يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تَجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُفَّتِ ال حُفَفُ).

^٥ وفي رواية غير الترمذي: (احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخصأك لم يكن لي بيك، وما أصابك لم يكن ليخ بك، واعلم أن الذر مع ال بر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً).

لأولادنا، ولكن كما يقولون: فاقد الشيء لا يعيه، فالمدرس سيمر عليه مرّ الكرام، ولن يرسّخه في قلوب هؤلاء الأولاد، من الذي يرسّخه في قلبهم؟ الأب، لأنه حريص على ابنه، لأنني أحتاج أن ألقن ابني هذا المنهج النبوي الذي رسمه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم له جيّ، حتى ينشأ ولا يحدث ما نراه الآن، الولد كاره أخاه، والولد يغير من أخته، والأب والأم يختاروا ماذا يفعلون؟! أنتم من ترك هذه الحكاية . تركتم نبتة الشيء ان وقد زُرعت في صدورهم بدلاً من نبتة الرحمن التي كنتم زرعتموها في قلوبهم.

أنت إذا كنت زرعت من البداية في قلوبهم امة والأخوة، فيكونون من تلقاء أنفسهم يتحابون فيما بينهم، ويحرصون على بعضهم، كما كان ولا يزال أصحاب رسول الله وال محبون من عباد الله جلّ في علاه. نحتاج أن نبقى هذا المنهج: (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) (٩ الحشر).

هذه الأمثلة سمعنا عنها حتى من قريب، من حوالي خمسة عشر سنة حدث عندكم: أخوان تربوا على هذا المنهج وعلى حب بعضهما، فكانت زرعتهما مشتركة، وأحدهم متزوج والآخر لم يتزوج بعد. وكان عندهم محول القمح، وكان لا يزال في الجرن، وكانا قد قسمّا بينهما كوماً لهذا وكوماً لهذا. ففي الليل، وفي الظلام، الذي كان متزوجاً قال: إن أخي لا زال أعزباً ويحتاج للزواج فأخذ من كومه ووضع في كوم أخيه. والآخر قال: إن أخي متزوج وذو عيال وأنا لم أتزوج بعد، وهو أحوج مني لهذا، فأخذ من كومه ووضع في كوم أخيه. ظللاً على هذه الحالة حتى أشرق ال باح فرأيا بعضهما، وهذا الكلام حبل من قريب.

هل يحدث في هذه الأيام مثل ما حدث لهما؟ لا، .. لماذا؟! لأنه لم تعد هنا التربية التي تؤدي لمثل هذا، بل يريد أن ينزع أخاه من أرضه ويأخذ نبيه، أو يبحث له عن مبيبة ليأخذ ميراثه، لماذا؟!، لأنهم لم يتربوا على المبادئ النبوية، وأصبحت الدنيا الدنية هي المسيرة عليهم، وكل همّهم الدنيا، وفي سبيل الدنيا لا مانع أن يبيع أباه أو يبيع أخاه أو يبيع أمه، أو يبيع الكل في سبيل الدنيا، قال صلى الله عليه وسلّم: (حب الدنيا رأس كل خبيثة)^٦. نكتفي بهذا القدر خوفاً من الإطالة والسّامة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

^٦ رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن بن علي رضي رفعه مراسلاً، وذكره الديلمي في الفردوس وتبعه ولده بلا سند عن عليّ رفعه، ورواه البيهقي أيضاً في الزهد، وأبو نعيم من قول عيسى ابن مريم. ولأحمد في الزهد عن سفيان قال: كان عيسى ابن مريم يقول: (حب الدنيا أصل كل خبيثة والمال فيه داء كثير، قالوا: وما دأؤه؟ قال: لا يسلم صاحبه من الفخر والخيلاء، قالوا: فإن سلم، قال: شغله إصلاحه عن ذكر الله تعالى). وعند ابن أبي الدنيا في مكايد الشيء ان له أنه من قول مالك بن دينار.